مؤمن آل فرعون

للأستاذ / عبد الكريم الخطيب

أولا : النصوص القرآنية :

ورد ذكر هذا الداعية ، أو الرسول ، في موضعين من القرآن الكريم : أولهما في سورة « يس » والآخر في سورة « غافر » والتي تسمى (سورة المؤمن) أيضا ..

ما جاء في سورة (يس) :

يقول الله تعالى ، مخاطبا رسوله الكريم بما يتلوه على مشركي قريش ، ليكون لهم منه عبرة ، علهم يرجعون عما ركبوه من كبر وعناد :

« **واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ، إذ أرسلنا إليهم**

اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا اليكم مرسلون . قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون . قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون . وما علينا إلا البلاغ المبين . قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أإن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون . وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون . ومالى لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون . أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون . إني إذن لفي ضلال مبين . إني آمنت بربكم فاسمعون . قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون . بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين » يس (١٣ ـ ٢٧) ..

وهذه الآيات المباركات ، تقرر أكثر من حقيقة :

اولا : أن هناك أهل قرية ، أرسل الله تعالى إليهم رسولين كريمين ، فكذبوهما ، وأبوا أن يستجيبوا لدعوتهما إلى الايمان بالله وحده .

ثانيا : أرسل الله تعالى رسولا ثالثا إلى هذه القرية ، ليشد به أزر الرسولين القائمين بالدعوة إلى الله ..

ثالثا : مضى أهل هذه القرية في ضلالهم ، فلم يقبلوا دعوة هؤلاء الرسل الثلاثة ..

رابعا : رمى أصحاب القرية هؤلاء الرسل الكرام ، بالشؤم والتطير منهم ..

خامسا : جاء من أقصى المدينة ـ وهي القرية المشار إليها ـ رجل يسعى إلى هؤلاء القوم ، يريد إنقاذهم مما سوف يحل بهم من بلاء ، إذا هم ساروا في طريق عنادهم وضلالهم ، فنصح لهم أن يتبعوا هؤلاء الرسل ، الذين يدعونهم إلى الهدى ، دون ان يسألوهم أجرا على هذا الذي يدعونهم إليه ..

سادسا : تصرح هذه الآيات المباركات ، بأن هذا الرجل الذي جاء من أقصى المدينة ، كان ناصحا ومرشدا لقومه ، ولم يكن رسولا ، إذ يقول : « يا قوم اتبعوا المرسلين » ..

الرجل المؤمن كان مرشدا وناصحا ولم يكن رسولا

ما جاء عن مؤمن آل فرعون

صورة مشابهة لمؤمن القرية

هذا ، ويكاد المفسرون لهذه الآيات المباركات ، يجمعون على أن هؤلاء المرسلين هم رسل عيسى ـ عليه السلام ـ أرسلهم إلى أهل أنطاكية ، فأرسل رسولين أولا ، فلما لم يستجب أهل أنطاكية لهما ، أرسل رسولا ثالثا ، ليعينهما على أداء الرسالة .. ثم يذكر المفسرون أسماء هؤلاء الرسل ، مع اختلاف الأقوال في أسمائهم .. ثم يقوم مع هؤلاء الرسل رجل مؤمن ، يدعو قومه إلى الاستجابة لدعوة هؤلاء الرسل ، فلما أبوا هتف مناديا إنه من المؤمنين ..

وننتقل بعد هذا ، إلى ما جاء في سورة (غافر) والتي تسمى (سورة المؤمن) ..

ما جاء في سورة غافر . أو سورة المؤمن :

يقول الله تعالى في سورة غافر ، والتي تسمى (سورة المؤمن) :

﴿ وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ۞ وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ۞

﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ۞ يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ۞ وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ۞ مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ۞ ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد ۞ يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ۞ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ۞ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ غافر / ٢٦ ـ ٣٥ .

وفي هذه الآيات المباركات من سورة (غافر) او (المؤمن) صورة مشابهة تماما لتلك الآيات المباركات ، التي أشرنا إليها من قبل ، من سورة (يس) .. ويتبين وجه الشبه بينهما فيما يلي :

إيمان السحرة كان إرهاصا لايمان كثير من ملأ فرعون سرا

أولا : أن ما جاء في سورة (يس) يتحدث عن أهل القرية ، وهي المدينة أيضا ـ وقد أرسل الله تعالى إليهم رسولين ، فكذبوهما ، فعززهما الله سبحانه برسول ثالث ، فما كان من أهل هذه القرية ـ أو المدينة ـ إلا الامعان في الكفر والضلال .. وهذا ما كان من فرعون وملئه ، كما جاء في سورة (غافر) أو (المؤمن) .. حيث أرسل الله تعالى إلى فرعون رسولين كريمين ، هما ، موسى وهارون ، عليهما السلام ، فكفر بهما فرعون وقومه ، وعزم على أن يقتل موسى ، الذي آمن به السحرة ، بعد أن ألقى عصاه ، وأفسد ما جاءوا به من السحر .

فإيمان هؤلاء السحرة الذين كان فرعون يعتمد عليهم في إبطال ما جاء به موسى ، من إلقاء عصاه ، فإذا هي ثعبان مبين ، وإدخال يده في جيبه ، ثم إخراجها ، فإذا هي بيضاء من غير سوء ـ هذا الايمان من السحرة كان إرهاصا لايمان كثير من ملأ فرعون سرا ، وكان على رأس هؤلاء المؤمنين ، ذلك الرجل الذي أجرى الله تعالى له ذكرا كريما في القرآن الكريم ..

وهذا الرجل المؤمن ، كان من آل فرعون ، ومن المقربين إليه ، كما كان موضع أهل الرأي عنده ، وأنه حين عزم فرعون على قتل موسى ، كما يقول الله تعالى على لسانه الأثيم : « **وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد** » . حين عزم فرعون على قتل موسى ، تحركت عزيمة هذا الرجل المؤمن من آله ، والذي قيل إنه كان ابن عم فرعون ، وقال لفرعون ، وهو في مجلس مستشاريه : « **أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم** » .. فإن منطق العقل ، وداعي الحكمة ، يقضيان بالتدبر ، والنظر فيما يدعو إليه موسى ، وقد جاء بالبينات الظاهرة ، والمعجزات القاهرة ، من ربه ، وليس له من جريمة يستحق القتل عليها ، بل يجب اتباعه والايمان بربه الذي أرسله ..

ومن جهة أخرى ، فإن موسى إما أن يكون كاذبا فيما يدعو إليه ، ولا يضر هذا الكذب إلا صاحبه ، وإما أن يكون صادقا فيما وعدكم من خير في الدنيا والآخرة ، إذا أنتم آمنتم بما يدعوكم اليه ، وهنا لا تحرمون هذا الخير الذي وعدكم به .

ثانيا : ويمضي الرجل المؤمن في دفاعه عن الحق الذي يدعو إليه موسى ، مذكرا فرعون وملأه ، بما بين أيديهم من نعم الله عليهم ، والتي هي في معرض الزوال ، إذا هم ساروا في طريق ضلالهم ، ولكن فرعون يحسم الأمر برأيه القاطع .. فيقول تعالى على لسان مؤمن آل فرعون : « **يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض**

فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا » ـ ثم يقول سبحانه على لسان فرعون : « **قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد** » غافر / ٢٩ .

ثالثا : وحين يرى الرجل المؤمن عدم إصغاء فرعون لما يدعوه إليه من ترك التعرض لموسى بالقتل ، يمضى في حديثه إلى فرعون وملئه ، فيقول ما ذكره الله تعالى على لسانه :«وقال الذي آمن **يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد.يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد**» . غافر ٢٠-٢٢

إن هذا الرجل المؤمن يذكر فرعون وملأه بما سوف يلقاهم يوم التناد ، وهو يوم القيامة حيث ينادى فيه الموتى من القبور ، فإذا هم قيام ينظرون ،.. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : « **واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب . يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج** » (سورة ق / ٤١ ـ ٤٢) ..

ومع هذا التحذير من الرجل المؤمن ، لفرعون وملئه ، فإن القوم وعلى رأسهم فرعون لم يلتفتوا إلى هذا التحذير ، وبدا للرجل المؤمن أن على وجه فرعون سحبا متراكمة من العناد والضلال ...

وهنا ينظر الرجل المؤمن في تاريخ الفراعنة ، وما فيه من مثل قريب من تلك الأمثال التي ذكرها لقومه ، عن يوم الأحزاب ، الذي طلع على قوم نوح ، وعاد وثمود ، والذين من بعدهم ، بالهلاك المدمر لهم ، ولكل ما أقاموا على هذه الأرض من مدن عامرة ، وقصور شامخة .

والمثل الذي رآه الرجل المؤمن ماثلا ، محفورا في آثار القوم ، هو يوسف عليه السلام ، وقد آمن به الفراعنة ، وأقامه فرعون في مصر يومئذ أمينا على خزائن الأرض ، واصفا إياه بالقدرة على أداء الرسالة بصدق وأمانة ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى ، على لسان فرعون : « **وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين** » (سورة يوسف / ٥٤) ..

وقد اتخذ الرجل المؤمن ـ من يوسف عليه السلام : كما أشرنا ـ مثلا ، يذكر به فرعون وقومه ، فيقول ما ذكره الله تعالى على لسانه : « **ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب** » غافر / ٣٤ .

وقد مضى القوم مع يوسف ـ عليه السلام ـ بين مصدق بدينه الذي يدعو اليه ، وبين شاك ، أو مكذب له ..

فلماقضىيوسف ، وأفلت من أيدي القوم هذا الخير الوفير ، الذي كان ينبغي لهم أن ينالوه على يديه ، تطلعوا إلى هذه الشمس الغاربة من أفقهم في حسرة وأسى ، وانتظروا أن تطلع عليهم شمس أخرى ، في صورة يوسف جديد .. فلما طال انتظارهم ، جيلا بعد جيل ، انصرفوا وصرفوا ابصارهم عن ترقبه ، وقالوا في يأس وألم : « لن يبعث الله من بعده رسولا » ..

وهاهو ذا الرسول المنتظر ـ بعد طول غيبة ـ يجيء اليهم في شخص موسى ـ عليه السلام ـ مؤيدا برسول آخر معه ، هو أخوه هارون ـ عليه السلام ، ثم يؤيدهما الله تعالى برجل مؤمن ، من آل فرعون ، ومن ذوي المكانة عند فرعون وملئه .

ثم هاهو ذا فرعون ، يتأثر بتحذير هذا الرجل المؤمن ، فلا يبادر بتنفيذ وعيده الذي توعد به موسى بالقتل ، وينتظر حتى يتدبر الأمر في تنفيذ هذا الوعيد !!

وهنا يجيء أمر الله تعالى لموسى ـ عليه السلام ـ أن يسرى بقومه ليلا ، طالبا النجاة له ولقومه من عدوان فرعون عليهم ، ويستجيب موسى لأمر ربه ، ويخرج بقومه ليلا ، دون أن يشعر بهم أحد .

وفي الصباح يعلم فرعون بما حدث ، فيجمع جنوده ويتبع موسى وقومه مسرعا يريد اللحاق بهم ..

وعلى شاطىء البحر الغربي من سيناء ، يرى قوم موسى طلائع فرعون وجنوده ، ويأخذهم الفزع .. ولكن موسى يبعث الطمأنينة في قلوب قومه ، مذكرا إياهم بوعد الله له ، بنجاته من فرعون ، وكيده .. وفي هذا يقول الله تعالى : « **فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ۝ قال كلا إن معي ربي سيهدين ۝ فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ۝ وأزلفنا ثم الآخرين ۝ وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ۝ ثم أغرقنا الآخرين ۝ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين** » (سورة الشعراء : ٦١ ـ ٦٧) ..

هذا الرجل المؤمن :

ونعود بعد هذا العرض ، لهذا الرجل المؤمن ، مستصحبين معنا ما ذكرناه في سورة (يس) وباحثين عن الصلة الجامعة بين ما ذكر عنه في هذه السورة الكريمة ، وما ذكر عنه في سورة (غافر) ، والتي تسمى أيضا (سورة المؤمن) ونسأل :

أهو مجرد رجل مؤمن من آل فرعون ؟ قد حمله إيمانه على أن ينتصر لدعوة موسى ، ويدفع عنه ما توعده به فرعون من القتل له ، ولرؤوس قومه ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : « **وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون** » (سورة الأعراف : ١٢٧) ..

أهو الايمان وحده الذي دعا هذا الرجل المؤمن ، ان يحاج فرعون عن موسى ودعوته ، أم أنه رسول من عند الله ، ليساند موسى وهرون ، ويؤازرهما ؟

ونقول ـ والله تعالى أعلم ـ : إن الله سبحانه ، قد ذكر في القرآن الكريم خمسة وعشرين نبيا بأسمائهم ولم يذكر اسم هذا الرجل المؤمن من بينهم ..

ومن جهة أخرى ، فان الله تعالى قد ذكر في القرآن الكريم ، أن هناك رسلا لم يقصصهم ، كما يقول سبحانه مخاطبا رسوله الكريم ، صلوات الله وسلامه عليه : « **ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك** » (١٦٤ : النساء) ..

فليس إذن بالمستبعد أن يكون مؤمن آل فرعون هذا رسولا ، ممن لم يذكرهم الله بأسمائهم في القرآن الكريم ..

ثم هناك إشارة واضحة إلى أن الموقف في سورة (المؤمن) هو نفس الموقف في سورة (يس) وأن فرعون هو المشار اليه في هذين الموقفين ..

ففي سورة (يس) يقول الله تعالى على لسان أصحاب القرية التي جاءها المرسلون : « **قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم** » (١٨ يس) ..

وهذا التطير ، والتشاؤم من المرسلين ، هو التطير والتشاؤم من فرعون وملئه ، إذ يواجه موسى ومن معه بما ذكره الله تعالى على لسانه ، حيث يقول جل شأنه : « **فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون** » الأعراف)١٣١ ..

وفي هذا إشارة من قريب إلى أن مؤمن آل فرعون ، هو صاحب الموقفين في سورتي (يس) (والقصص) .

ثم هناك إشارة أخرى ، وردت في السورتين ، وهي أن هذا الرجل قد جاء من أقصى المدينة ، أي من أطرافها ، حيث مساكن الملوك والأمراء والوزراء ..

ففي سورة (يس) يقول تعالى : « **وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين** » (٣٠ : يس) وفي سورة القصص ، يقول الله سبحانه: « **وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين** » القصص / ٢٠ .

فهذا الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى ، هو هو ، الذي كان عينا لموسى وناصحا له ، ومؤيدا لدعوته ..

وبعد ، فهذا مبلغ ما وصلنا اليه من النظر في أنوار آيات من القرآن الكريم ، فإن يكن صوابا فهو من الله ، وان يكن خطأ فمني ، واستغفر الله ، « وفوق كل ذي علم عليم » صدق الله العظيم ..

فرعون يتأثر بتحذير الرجل المؤمن

فلا يبادر بقتل موسى